الوحدة والفن والمرأة في حوار مع العلامة الشيخ محمد علي التسخيري

(أصدقاءنا القراء، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أحييكم من العاصمة الإيرانية طهران، وللصدق أقول إنني أتيت إلى طهران خاوية اليدين لا أملك من الزاد إلا القليل القليل، فقط بعض التساؤلات المبعثرة والعطش الملح للمعرفة، وللأمانة أقول: إننا في أجهزتنا الإعلامية العربية تجاهلنا - بل وأسقطنا عبر عقود - حق القارئ في التعرف على ثقافات أمتنا الإسلامية. وبكل أسف إن الأحداث الجسام التي تتعرض لها الأمة تفضح وتعري تماماً جهلنا المتراكم الذي ساهمنا فيه جميعاً بكسلنا المفرط كمؤسسات إعلامية وكأفراد أيضاً؛ إذ تخرج الشعوب العربية إلى الشوارع رافعة شعار الأمة وانتصار الأمة وصمود الأمة، لحظتها.. لحظتها فقط نعي أن الأمة ليست إلا مصطلحاً نختبئ وراءه وقت المآزق، ولكن أين هي الأمة ومن هي الأمة؟ وماذا نعرف عن هذه الأمة؟ من يبحث عن إجابات لهذه الأسئلة سيجد نفسه أمام فضيحة فظيعة لا تعفي أحداً من الشعور بالخزي والعار.

اليوم وبعد هذا الاعتراف الخاص والعام أدعوكم إلى التحالف من أجل إنجاز خطوة من خطوات هدم جدار الجهل والأفكار المسبقة، حتى نتمكن من بناء بنية ثقافية تحتية تقوينا وتثبت أقدامنا في هذه القرية الكونية، وإذا كان الألمان قد نجحوا في هدم جدار برلين لتوحيد صفوفهم ولمِّ شملهم وتقوية موقعهم، فما الذي يمنعنا -

نحن – من هدم الجدران الداخلية التي تشتت تضامننا، وتفتت قوتنا، وتجعلنا لقمة سائغة لمن يريد أن يطعن في ثوابتنا ودعائمنا الثقافية. قد يرى بعضكم في ما أقول مجرد هذيان وكلام لا معنى له، وليكن كذلك لا يهم، المهم هو أن نفتح مدارس محو الأمية تجاه ثقافاتنا المتنوعة في بلدان العالم الإسلامي؛ إذ إنه ليس من المنطق أن نتشبع بثقافة شكسبير، ونتباهى بثقافة بودلير، وننخرط بكل انبهار ودهشة في ثقافة الكاوبوي، ونحن أجهل الجاهلين بمخزوننا الخاص وبالثراء الأدبي والفني والفكري الذي يحيط بنا في كل شبر من عالمنا الإسلامي.

وحتى لا يؤول كلامي هذا خطأً، فأنا هنا لا أدعو إلى الانسحاب من ثقافات الآخر، بالعكس، ولكن أكتفي بالدعوة إلى إقحام ثقافاتنا الغنية ضمن أولويات الأجندة الثقافية، وحينها يمكن أن يتحول شعار «الأمة» الذي نتبجح به أوقات المآسي والأزمات من شعار واهم كاذب، إلى معنى ندركه ونعيه، هل هذا الطلب الحلم مستحيل؟ لا أعتقد ذلك، على كل حال حتى لا يتحول هذا التقديم إلى شعار آخر من الوهم والكذب، فإنني أدعوكم إلى مغامرة المعرفة والاكتشاف التي أبدأها من طهران، وهي مغامرة لا تخلو من التعثر والخطأ، ولكنها لا تخلو أيضاً من رغبة جادة وإصرار قوي على المعرفة في حوار مع عالم جليل هو سماحة الشيخ محمد علي التسخيري الذي وهب عمره لخدمة ثقافة بلده، داعياً إلى هدم الجدران الإسمنتية التي تخنق مسام الجسد الإسلامي، وهو أيضاً أحد أبرز الأصوات الداعية إلى حوار الحضارات وتقارب المذاهب الإسلامية تأكيداً للمشترك بينها وردماً لمصادر الفتنة والفرقة.

■ سماحة الشيخ محمد علي التسخيري أولاً السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ التسخيري: عليكم السلام ورحمة الله، وفقكم الله في مسعاكم لتعميم الثقافة.

توحيد الأمة ومد الجسور بين قطاعاتها

■ (بارك الله فيك، سماحة الشيخ طبعاً أنا أجد نفسي في حالة... أمام هذه الزحمة من الكتابات والنظريات والآراء الموجودة في بعض الكتب التي صدرت في إيران وغير إيران، أجد نفسي مجبرة على الاعتراف بأنني قادمة من عالم عربي يجهل الكثير عن الجمهورية الإسلامية في إيران، أعتقد بعد الأحداث الأليمة التي يشهدها العالم الإسلامي عموما حيث يرفع الجميع راية الأمة الإسلامية التفتنا في لحظة مفاجئة إلى أن «الأمة» مصطلح لم يرق إلى الحقيقة، كيف يمكن أن نربط أشلاء هذه الأمة على الأقل ثقافياً؟

الشيخ التسخيري: بسم الله الرحمن الرحيم، قبل كل شيء أرحب بكم، وأرجو لكم كل التوفيق؛ كما تفضلتِ، مصطلح «الأمة» بخصائصه القرآنية وأبعاده الإنسانية لم نستطع تجسيده في واقعنا الإسلامي العام.

القرآن يتحدث مع كل الأمة الإسلامية ويخاطب كل فرد فيها، ويطرح مفهوماً، هذا المفهوم تنصهر فيه كل الجغرافيا، وكل التاريخ، وكل الثقافة في بوتقة واحدة، هكذا أراد القرآن لنا أن نكون بشكلٍ يحس كلٌّ منا بآلام الآخرين وآمالهم، ويعيش معهم، ونحن نعلم أن الإسلام طرح فكرة التكافل والتكافل، قضية واقعية، وليست خيالاً محضاً أو وهماً؛ أي لا يحق لأحدنا أن يشعر بالراحة وهو يعلم أن أخاه المسلم يشعر بالضيق، لا بل لا يحق له أن يرتاح وهو يعلم أن أخاه الإنسان في ضيق.

هكذا علَّمنا القرآن، والإمام علي يقول لمالك الأشتر عندما ولاَّه مصر يقول له: «**فالناس صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**»، نحن لم نجسد مع الأسف هذا المفهوم، مفهوم الأمة المتكافلة المتضامنة، في عالم الواقع. ونحن بحاجة إلى خطوات أكبر وأوسع، لا نتشاءم لكننا يجب أن لا نكون متفائلين أكثر مما ينبغي، هناك خطوات كثيرة جداً يجب أن نخطوها للوصول إلى الحالة المثالية التي يشعر الواحد منا بأنه فرد من أمة يعاني لمعاناتها، ويتألم لآلامها، ويحمل آمالها الكبار في الوقت عينه.

■ **نعم، التأرجح بين التشاؤم أو الواقعية، والتفاؤل، الواجب على الأقل على مستوى التخطيط لمستقبل أجمل، يعني في إيران هناك مثلاً مجمع التقريب بين المذاهب، هناك رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، هناك مؤسسات خاصة بهذا المقصد وهذه الغاية، وهي بناء الجسور بين قطاعات الأمة. سماحة الشيخ أنت أكثر دراية مني، بحقيقة أن التقارب الديني قد يكون من الممكنات؛ لأن العلماء متنورون أصلاً، من يصل إلى رتبة العالم بإمكانه أن يحاور أي عالم آخر في العالم، فما بالك بعلماء مسلمين مثلك، لكن التقارب الثقافي يتعامل مع الملايين من العامة، يتعامل مع أناس يولدون في بيئات تغذي فيهم من الأفكار المسبقة ما لا يمكن محاربته بكلمة من مفتي ديار، أو جمهورية، أو من إمام، أو غيره، كيف يمكن أن ننقل هذا النفس العلمي الواعي إلى مسام عقلنا وفكرنا وعقليتنا تجاه بعضنا؟**

الشيخ التسخيري: أنا أعتقد أن الطريق الوحيد والأقرب هو تمثل مبادئ القرآن؛ أي إذا شعر الفرد المسلم بأنه يجب أن يعيش على مستوى الأمة، ويخرج من همومه، ويخرج من الأصداف الذي صاغها بشكل لا شعوري، ومن القوقعة التي قد يحيط بها نفسه، إذا خرج

وعاش على مستوى الأمة حينئذ كل فرد منا يشعر بأن عليه أن يمد هذا الجسر وعليه أن ينفتح على الآخر بقوة، هذا بالنسبة للفرد العادي. وإذا كان الفرد من العلماء، فإن الرسول العظيم محمد – صلى الله عليه وآله – أراد أن يكون العالم وريث النبوة، كما ورد في الحديث الشريف: «**العلماء ورثة الأنبياء**»، فإذا كان الأمر كذلك، فكما أن النبي يفكر بكل فرد من أفراد أمته، فعلى العالم أيضا أن يفكر بكل فرد من أفراد أمته، ويتحمل مسؤولية هذا التفكير... التفكير مقدمة لتحمل المسؤولية وللكون على مستوى المسؤولية، نحن اليوم أمة ضخمة – والحمد لله –أمة تملك قبل كل شيء من مقومات الحضارة، ومقومات الحضارة الإنسانية المنفتحة حوارياً مع الآخر، ونملك الطاقات المادية الكبرى، والمواقع الاستراتيجية المهمة، والشخصيات المفكرة الكثيرة، فلو ضممنا جهودنا إلى بعضها وعشنا ما أراده الإسلام، فعندها يتضح لنا الهدف والغاية، وهي أن الإسلام أراد للمسلمين أن يكونوا أمة واحدة متكافلة بالرغم من الاختلاف المذهبي القائم بينهم، فالمذاهب يجب أن تبقى اجتهادات فكرية واجتماعية ولا يجوز أن تتحول إلى طائفية بغيضة مقيتة. إذا تعاملنا مع اختلافاتنا بهذه الطريقة يسهل الأمر وتتعبد طريق الوصول إلى الهدف المنشود وهو وحدة الأمة.

■ **نعم، سماحة الشيخ، كلامك جميل، ولكن الواقع يفرض نفسه، العالم الإسلامي ليس كله جمهوريات إسلامية، بل نموذج الجمهوريات الإسلامية أو التشريع الإسلامي هو نادر في العالم الإسلامي، فبالتالي نحن نتعامل مع واقع آخر، نتعامل مع بلدان الحكم فيها علماني أو ربما إلحادي في بعض الأحيان إلى درجة الإعلان والتباهي بذلك. وهذا لا يسمح لأحد منا أن يقتطع من هذا العالم تلك الدول، هي تبقى جزءاً من العالم الإسلامي. على ضوء هذه الحقيقة، كيف تخاطب من لا يريد أن يكون تحت سقف الفكر الإسلامي، كيف تضع يدك بيده لتتكاتف أيد مسلمة ولو بالهوية، وليس فقط لا تشاطرك الرأي بل في بعض الأحيان هي أشد عداء لك من العدو الرسمي أو العلني؟**

الشيخ التسخيري: أنا أعتقد أن الإسلام يشكل روح هذه الأمة، وأن الميل الإيماني موجود في كل فرد من أفراد هذه الأمة حتى، ولو تلبس بلبوس علماني، حتى ولو عاش أحياناً مبهوراً بالغرب وبالآخر، لكن الروح العامة والروح السائدة هي الروح الإيمانية، المهم هو أنه كيف نُفعِّل هذا الإيمان ليوجه السلوك.

■ ولكن لا ينبغي أن نتجاهل قوة القرار السياسي وتأثيره في منع التلاقي بين المسلمين،

فالمسلم لا يستطيع أن يلتقي المسلم الآخر بسهولة، كثيرٌ من الدول تضع الحواجز بين المسلمين وتمنع، بقرار سياسي، مسلماً من دخول بلد إسلامي آخر، تحت عناوين متعددة كالسيادة الوطنية وغيرها من الشعارات.

الشيخ التسخيري: هذا واقع لا أنكره ولا يمكن لأحد إنكاره، ولكن أريد أن أقول: إن الاتجاه العام لدى أبناء الأمة مختلف ولا يؤمن بهذه الحواجز، ولو كانت هذه الروحية مبهمة وغير واضحة أحياناً؛ ولذلك لا بد من ضخ وعي في شرايين فكر أفراد هذه الأمة، حتى يرقى إلى مستوى الشعور الواضح، ليكون لهذا الوعي تأثيره على السلوك، الآية القرآنية تقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

هذه الآية تخاطب المؤمنين تقول لهم: ألم يحن الوقت ليرتقي إيمانكم إلى مستوى السيطرة على المشاعر وتحريكها؟! عندما يسيطر الإيمان على المشاعر يمكن أن يتحول إلى وعي دافع للسلوك. مع الأسف، إيماننا الجماهيري لم يرق إلى مستوى السيطرة على الأحاسيس، وبالتالي حتى الآن لا يؤثر على السلوك. ولكن هل الطريق إلى هذا الهدف مسدود؟ لا أعتقد ذلك بالرغم من وجود الكثير من الحكومات والأحزاب والمصالح الشخصية المعيقة، ولكن إذا اتضح الهدف، وتم الاقتناع به يمكن الوصول إليه.

■ **إذا الموانع داخلية...**

الشيخ التسخيري: نعم بالتأكيد؛ ولذلك علينا تشخيص هذه الموانع، والتخطيط لإزالتها، في سبيل الوصول إلى الهدف المبتغى. وعلى أي حال، أنا أوافق أنَّ واقعنا صعب، فالأمة تمزقها الحواجز، ولكن لا يجوز أن نيأس. وأضرب مثالاً من تجربتي الشخصية في علاقتنا مع العالم العربي، قبل مدة عقدنا ملتقىً لتكريم الشاعر الإيراني سعدي الشيرازي، أحد الشعراء الإيرانيين الكبار، بالتعاون مع مؤسسة كويتية، وعُقد اللقاء هنا في إيران. هذا الشاعر إيراني ولكن ثقافته عربية، عنده الكثير من القصائد العربية، دُعِي إلى الملتقى حوالي مائتي شخصية عربية، عندما حضروا وشاهدوا إقبال الشعب الإيراني والمثقفين على اللغة العربية، وعلى الفكر العربي وانفتاحهم على العالم العربي وشوقهم إلى مد الجسور تأثروا. وقد رأيت الكثير مما كتبوه بعد عودتهم وكان في غاية الإيجابية، بل إن بعضهم كان يلوم حكامه على وضع الحواجز وقطع جسور التواصل مع إيران والشعب الإيراني.

أنا أعود فأكرر إذا فتشت قلب كل مسلم في إيران ستجدين.. فيه الحب للعالم العربي، والحب لانتصار العالم العربي، والشوق للغد الذي يتحقق فيه التواصل الكبير. وأنا متأكد أيضاً أننا لو دخلنا قلب كل مسلم عربي لرأيناه يريد أن ينفتح على سائر أقطار العالم الإسلامي ويريد أن يشعر بأنه جزء من هذا العالم الإسلامي. وإذا كان الأمر كذلك، فأنا أعتقد أن الموانع التي تلقى هي في الغالب – واسمحي لي أن أقول – هي نوع من الشوفينية القومية، ونحن لسنا ضد القومية، القومية يمكنها أن تؤصل وتخدم، ولكن يجب أن تكون قومية إنسانية منفتحة على الآخرين...

■ **أو على الأقل موازية...**

الشيخ التسخيري: نعم يجب أن تصب في خدمة الهدف العام لهذه الأمة. يوجد عندنا قوميون فارسيون، وهؤلاء بعضهم منفتح، وبعضهم شوفيني منغلق لا يريد هذا الانفتاح، هناك قوميون عرب، هناك قوميون أتراك. نحن إذاً، مع أن يفتخر الإنسان بنفسه بقوميته بعشيرته، والإسلام لا يمانع أن يفتخر الإنسان بعشيرته ويلتصق بها، لكن يجب ألا يكون على حساب الانصهار في الأمة الإسلامية الكبرى، إننا حتى على مستوى المنطق السياسي خاسرون إذا حصرنا القضية الفلسطينية مثلا في الإطار العربي، أو الشرق أوسطي، أو غيره من الأطر الضيقة، والكلام عينه يقال عن سائر قضايانا.

■ **صحيح... صحيح.**

الشيخ التسخيري: نخسر كثيراً، يجب أن يشعر المسلمون جميعاً أن فلسطين هي قضيتهم الأولى، ويجب ألا يقر لهم جفن عندما يرون أماً فلسطينية تصرخ بالمسلمين، هكذا نريد للأمة الإسلامية أن تكون، ولا أستبعد أن نصل إلى هذا المستوى، بعد أن يعمل المخلصون على حذف العوائق أمام هذا التوجه الإسلامي العام.

أهداف رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية

■ **نعم، هذه العوائق سماحة الشيخ لها مراحل أو لها مستويات مختلفة، المستوى السياسي لا أريد الخوض فيه، فأنا لا أفقه في السياسة، والدين سماحة الشيخ، معلوماتي متواضعة؛ لذلك اعذرني عن الخوض في هذا المجال، وسوف ألوذ بما أعرف وهو المجال الثقافي، أنت تعرف أن التقارب مثلاً بين الرئيس الإيراني والملك السعودي مثلا، تبتهج له قلوب المسلمين جميعا من المغرب إلى ماليزيا، ولكن القرار السياسي مقدور عليه؛ لأنه في**

أيدي ساسة، أعود مرة أخرى إلى الثقافة، وأعود مرة أخرى إلى رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية التي أُنشئت سنة ١٩٩٤، وكنتَ أول رئيسٍ لها مدى سبع سنوات، هذه الرابطة الموجهة في الأصل والأساس إلى الخارج للتعامل معه، هل استطعتم أن تبنوا ولو آجرة واحدة، أو مدماكاً واحداً في هذا الجسر الذي كنا نتحدث عنه؟

الشيخ التسخيري: أنا أعتقد أن التوفيق من الله، ولكننا سعينا بجد لتحقيق الكثير من الأهداف. لمد الجسور مع كل المنظمات الإسلامية الدعوية والإغاثية، وساهمنا في تقوية لجنة للتنسيق شُكلت في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وعقدت مؤتمرات وندوات هنا ونسقنا معها جميعاً وكسرنا الكثير من الحواجز الوهمية التي كانت تقف بين إيران والعالم الإسلامي، بين إيران والعالم العربي، هذه الحواجز التي سببتها تصورات مذهبية وطائفية خاطئة في كثير من الأحيان.

وأعتقد أننا في إطار **رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية** طرحنا فكرة الحوار الإسلامي الإسلامي، وفكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في الواقع حوار إسلامي إسلامي شجعته هذه الرابطة، وتحول إلى فكرة مقبولة اليوم على مستوى العالم الإسلامي، اليوم نجد مؤتمرات في المغرب، في الأردن، في مصر، في الجزائر، قبل أشهر عُقد مؤتمر عالمي لبحث استراتيجيات ثقافية للتقريب، استراتيجيات ثقافية على مستوى أكبر من التقريب، وأنا أشير هنا إلى الاستراتيجية الثقافية التي اشتركت أنا.. والحمد لله – في كتابة بعض فصولها، ووافقت عليها منظمة المؤتمر الإسلامي في مؤتمراتها: السادس والسابع والثامن، وإن كانت هذه الاستراتيجيات ما زالت على الرفوف العالية، لم تأخذ آلياتها التطبيقية على واقعنا، أعتقد أن الرابطة في مجال العالم الإسلامي ساهمت في دعم مؤسسات، وفي دعم مراكز، وفي دعم مساجد، وفي نشر كتب.

وعلى المستوى العالمي أيضاً ساهمنا في إقامة حوار بين المسلمين وغير المسلمين، حوارات الإسلام والغرب عُقدت عشرات الجلسات مع المسيحيين عقدنا الكثير من الندوات في موسكو، وفي اليونان، في سويسرا، في سوريا، في الدول العربية الأخرى، يعني هذا الحوار أيضاً ينفعنا كثيراً لتوضيح الصورة الإنسانية للإسلام والأمة الإسلامية. والحمد لله نتيجة نشاط واقتراح السيد الرئيس الخاتمي قبلت الأمم المتحدة أن تجعل عام ٢٠٠١ عام الحوار بين الحضارات، وأحسب أن هذا الإعلان يمثل انتصارا للمسلمين في مقابل الدعوات التي أطلقها مفكرون أمريكيون للصراع بين الحضارات.

أعتقد أن الرابطة قامت بشيء مهم في هذا المجال والتوفيق من الله تعالى. ونرجو أن نواصل هذا الخط لمد جسور التواصل بين قطاعات الأمة، وأعتقد أن البعدان الثقافي والسياسي متداخلان في بلادنا، وقد كانت علاقة إيران مقطوعة أو متوترة مع بعض البلاد الإسلامية ولكن نشهد الآن تحسنا متصاعدا في علاقاتها مع الكثير من الدول الإسلامية وبخاصة الدول العربية. ونحن نرجو أن يكون التأثير الثقافي واسعاً حتى على المجالات السياسية، وأملنا كبير بالله، ثم بإرادة الجماهير المسلمة لكي نصل إلى مستوى أفضل في المستقبل.

الفكر الإسلامي والتعامل مع القرن الحادي والعشرين

نعم. سماحة الشيخ، اسمح لي بالعودة إلى بعض النقاط لفهمها أكثر، ذكرتم الاستراتيجية الثقافية الموحدة والتي أشير إليها في آخر مؤتمر أو لقاء لوزراء الثقافة المسلمين، بصراحة الكلمة في حد ذاتها فضفاضة وضخمة مثل الجلباب، تسع ماذا؟ تسع من؟ برؤية من؟ يعني من يستفيد منها لغاية الآن، وقد قلتم قبل قليل إنها ما زالت على الرفوف العالية؛ بل ربما كانت فوق السقف أصلاً؛ لأنها غير مفهومة حتى من الأكاديميين الذين حضروا الاجتماعات.

ما أريد معرفته هو أن مطلع القرن الحادي والعشرين له مواصفات مختلفة، فزاد القرن العشرين لا يكفي ولا يشبع في هذا القرن، وقناعات القرن العشرين غير كافية كذلك، أنت قلت: إن الرئيس خاتمي دعا إلى حوار الحضارات عام ٢٠٠١، عام ٢٠٠٢ أو نهاية ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٢ العالم يتغير في اتجاه بشع جداً، لا هو حوار حضارات ولا حتى صراع الحضارات بمفهومه التقليدي، ندخل إلى زمن غريب كأنه غربلة حضارات، أو كسر يد حضارات، أو محو حضارات، كيف يمكن أن نجد القاموس الفكري والتطبيقي للتعامل مع الواقع الجديد الذي فاجأ الجميع؟

الشيخ التسخيري: الحقيقة من الطبيعي لكل جيش أراد أن يدخل في معركة، أن يلملم صفوفه ويوحد قيادته، ويدرس استراتيجيته، بالمناسبة الاستراتيجية في الواقع مأخوذة من القاموس العسكري، ثم نُقلت إلى مجالات ثقافية أخرى، عالمنا الإسلامي يجب أن يتفق على مرجعيته، يتفق على أسس مبادئه وعلى استراتيجيته، يجب أن يتم حوار إسلامي إسلامي أولاً، ثم بعد ذلك نبدأ بحوار إنساني.. حوار إسلامي مسيحي، إسلامي غربي،

إسلامي يهودي، إسلامي مع الآخرين جميعاً. القرآن الكريم أعطانا نظرية رائعة في الحوار، أصلاً الإنسان المؤمن يصفه القرآن ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ يعني المؤمن يستمع أولاً، ثم يتبع أحسن القول ثانياً، القرآن علمنا أن نكون موضوعيين في الحوار من خلال تعليم الله للرسول عندما يقول له: ﴿قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وكأنه سبحانه وتعالى يقول له: رغم إيمانك ويقينك ولكن عليك الدخول إلى الحوار مع الآخرين بهذه الروح الموضوعية الرائعة المنطلقة من احترام الآخر، وافتراض أنهم ربما كانوا على صواب.

والقرآن في هذه السورة نفسها وهي سورة سبأ بعد قليل يقول عندما يريد أن يقرب قلوب الطرف الآخر، يقول: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، ولم يقل «تجرمون» احتراماً للطرف الآخر. يجب إذاً، أن نجمع صفوفنا ثم نتحاور مع الآخرين، ونحن نعتقد أن الفطرة الإنسانية تؤثر أثرها حتى على مستوى الآخر، وعلينا أن نبحث عن المساحات المشتركة، وأعتقد أننا بهذه اللغة نستطيع التغلب على العقبات.

وما ذكرته صحيح من أن حوادث الحادي عشر من أيلول قلبت الموازين، ولكنا نعتقد أن الذي قلب الموازين هو ما نسميه بنزعة الاستكبار لدى الدول الغنية، يعني أميركا بعد هذه الحوادث – مع الأسف – تحولت، وصارت مدعية وقاضية، بل الشرطي المنفذ في آن واحد، ولا يستقيم مع المنطق أن يكون الإنسان مدعياً وقاضياً ومنفذاً، أميركا تجاوزت حتى الأمم المتحدة، وراحت تنفذ مآربها باسم الصراع ضد الإرهاب، وطرحت شعاراً ثنائيا بعيدا عن كل منطق وهي إما أن تكون معنا أو أنت ضدنا وأنت إرهابي.

واسمحي لي بشيء من الاستطراد، لأقول: إن المشكلة فينا نحن أيضا، فلا يمكن أن نلوم الآخر بشكل دائم. وأنا أقول هذا مع كل أسف وحرقة، مثلاً: اجتمعت الدول الإسلامية في طهران، واتفقت على لائحة لحقوق الإنسان في نظر الإسلام، ثم ذهبنا إلى القاهرة، ووافق عليها وزراء الخارجية، وذهبت هذه اللائحة إلى القمة، ووافقت عليها القمة، ووافق عليها مجمع الفقه الإسلامي في دورته الأخيرة، مع الأسف الشديدة هذه اللائحة أيضاً بقيت كما أشرت على الرفوف العالية، ولم نعمل حتى نحن لتطبيق ما اتفقنا على أنه رأي الإسلام، وما زالت بعض الدول الإسلامية تقول نعمل بهذه اللائحة إذا وافقت القوانين الوطنية. وبهذا نكون قد حكَّمنا القوانين الوطنية بالإسلام نفسه؛ ولهذا أقول لو أننا نفذنا ما توافقنا عليه لكان وضعنا أحسن بكثير مما هو عليه.

■ نعم. سماحة الشيخ، أريد البقاء في إطار حالة الطوارئ التي يشهدها مطلع هذا القرن، كيف تتعامل مع الواقع الجديد المختلف، بالرغم من أن الكثيرين بدأوا يختبئون وينسحبون من ساحة المنافسة ويستسلمون للواقع المرير، ربما كان هذا الانسحاب جبنا ولكن يقول أصحاب هذه المواقف هذا ليس جبنا هو منطق العصر، والواقعية تقتضي هذا النوع من المواقف المهادنة. يقول: أنا مضطر إلى إغلاق بعض المدارس مثلاً، أو تغيير تسعين في المائة من المناهج الدراسية تحت شعارات شتى، فأنت مثلا تحدثني عن الفكر الإسلامي والقوانين الإسلامية، وأنا ألاحظ أن عدد المنسحبين من الفكر الإسلامي يتزايد باستمرار، الكثير من العناوين تجري البراءة منها تحت عناوين مختلفة، أين قوانين القصاص الإسلامي، أين قوانين الأسرة المسلمة، حتى الحجاب هناك من شرع في التنظير لمنعه، وهكذا...

الشيخ التسخيري: في الحقيقة أشرت إلى نقطة جيدة جداً، أنا أريد أن أقول أولاً: عامل الخوف اليوم وهمي، مع الأسف يجب أن نكون نحن المنصورين بالرعب، نحن ترعبنا أشياء وهمية، أميركا تصور نفسها القوة الأولى في العالم القوة التي لا تقهر، في حين أنها في أفغانستان لم تنتصر نصراً كاملاً، يعني أميركا لولا وجود قوى في داخل أفغانستان تساعدها في مآربها، ولولا نوع من التخاذل الذي أحاط بالدول المحيطة بأفغانستان، لم تكن لتحقق ما حققته، وما زالت لحد الآن تعيش الرعب، وتعمل على حماية قواعدها في أفغانستان، يعني إذن عامل الرعب أرى أنه عامل وهمي، هذا أولاً.

وثانياً: أقول حتى لو كانت أميركا بهذه القوة التي تصور نفسها بها، وكذلك إسرائيل فلو كان الجيش الصهيوني قويا إلى الحد الذي يدعي لنفسه، علينا أن نسقط عامل الخوف والجبن من حساباتنا، لا أدري بأي شيء يشعر كبار العرب والمسلمين عندما يرون أن الجندي الإسرائيلي يخاف من الطفل الفلسطيني ومن حجره...

■ لذلك يقتله.. لذلك يقتله..

الشيخ التسخيري: السلاح والعسكر لا ينبغي أن يرعبنا، هذا الجيش حتى ولو كان قوياً، حتى ولو كانت أميركا قوية، لا يجوز أن نخاف لأننا على حق، وأن الله معنا، والله أقوى من هؤلاء جميعاً. يجب أن لا يفتّ هذا في عضدنا، فننهزم، وشر الشعوب هي الشعوب المنهزمة داخلياً، يقول الإمام علي(ع): «ما غُزي قومٌ في عقر دارهم إلا ذلوا» يعني العدو يريد أن يغزونا في عقر دارنا، بل أقول في عقر أنفسنا لنموت نفسياً، وهذا أمر أشار

إليه القرآن الكريم أيضاً في قضية فرعون، ففرعون كان يستفيد من الهزيمة النفسية لدى الناس ليفرض استكباره عليهم، القرآن يقول: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ يعني جعلهم في أنفسهم خفيفين، يعني هم تصوروا أنه هذا قدرٌ من الله مفروض علينا، فرعون قدر إلهي، كما أن قانون الجاذبية قدر إلهي يجب أن نستسلم له، فالفرعونية قدر إلهي يجب أن نستسلم له، هذه الهزيمة تركتهم يعيشون راكعين ساجدين لفرعون، ولذلك يقول القرآن: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، يعني عندما حشر الجماهير هو نسي أنه يتقوى بهذه الجماهير، تصور أنها قوة ذاتية، فقال أنا ربكم الأعلى، وليس رب عادي، ربكم الأعلى.

نحن يجب أن لا ترعبنا كل هذه الأساليب، يجب أن نكون أقوياء، وأعزاء بالله تعالى، وأن نردد مع القرآن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ هذا قرآن، هذه ليست والعياذ بالله تصورات طوباوية، القرآن يعيش معنا، ويوجه حياتنا، إذا انفصلنا عنه انفصلنا عن ذواتنا، وعشنا حالة الرعب، والهزيمة التي أشرتِ إليها، أن يهرب الإنسان من إسلامه، أن يهرب الإنسان من عروبته، أن يهرب الإنسان حتى من إنسانيته فيتحول إلى لعبة بيد الآخرين، هذه الهزيمة الداخلية أشد الهزائم على أية أمة.

المرأة والثقافة والفن في إيران

طبعاً هذه المواضيع محزنة، وأعتقد أن في كل باب نفتحه شيء يطعن أحلام الإنسان وآماله في الصميم. سماحة الشيخ، هذه هي المرة الأولى التي أزور فيها إيران. وبصراحة أقول: إنني صُعِقت وصدمت، ربما لأن المشهد أكبر مما توقعت، لأن جهلي بالواقع الموجود كان كبيراً. وإنه لأمر مُحزن جداً أن يكون الصحافيون الذين يتولون بحسب المفروض صناعة الرأي العام وتشكيله يعانون من الجهل بواقع الحال في دول إسلامية قريبة من العالم العربي إلى هذا الحد. على أي حال، في العالم العربي عندما نتحدث عن الإسلام والقانون الإسلامي، يتوهم الكثيرون أن الحياة تتوقف، هكذا يُخيَّل لنا، أو هكذا أرادوا لنا أن نتوهم. وصلت إلى طهران وبعض المناطق الأخرى، وما راعني إلا أن الفنون هي في حالة تشبه فسيفساء، لم أشهدها في أي شبر من العالم العربي، وأقول هذا على ضمانتي وهذا رأيي، الشخصي طبعاً. استغربت هذه الفنون المزدهرة!! استغربت هذا الرسم هذا النحت، هذه الموسيقى، هذه الأغاني، هذا المسرح، هذه السينما، كل شيء يتوهج، واستغربت أيضاً

وضعية المرأة النشطة التي تحظى بمناصب مهمة، وموضوع المرأة لا يطرح كقضية تحتاج إلى حل في إيران، أقصد أنه شيء عادي، هذه حقوق عادية وتمشي الحياة، فإيران ثقافياً هل تدين لتاريخها، أم تدين للجمهورية الإسلامية؟ أم أنها تركيبة تراكمت عبر قرون، وتأطير إسلامي خلال سنوات النظام الإسلامي؟

الشيخ التسخيري: أنا أعتقد أن إيران أُحييت مرتين خلال التاريخ، المرة الأولى كانت عندما جاءها الإسلام. فإيران قبل الإسلام – بالرغم مما يقوله المحرفون للتاريخ – قبل الإسلام لم تكن إلا أمة لا قيمة لها، منحرفة عقائدياً، أمة مزق الظلم أوصالها، وبمجيء الإسلام دبت الحياة في عروقها وشرايينها، ودخلت مسيرة الحضارة الإنسانية. وأحييت مرة أخرى بمجيء الثورة الإسلامية؛ لأن نظام الشاه كاد يقضي على كل شيء في شخصية الإنسان الإيراني، ربط إيران بأميركا حتى تحولت إيران إلى جزيرة أمان أمريكية، ودعم الكيان الصهيوني وعدوانه بالنفط، وكسر شخصية الإنسان الإيراني والمرأة الإيرانية، حتى أنه حوَّل تاريخ إيران، حوَّل التاريخ العادي، المرأة ذابت إنسانيتها، الرجل فقد كيانه وشخصيته. أتت الثورة الإسلامية، فقلبت الموازين وغيرت المعادلات. ولا أقول: إن الثورة حققت كل أهدافها، الثورة الإسلامية سارت في طريق تحقيق الأهداف، ولا أدعي مطلقاً أن أهداف الثورة قد تحققت.

■ **والجنة الفاضلة غير موجودة على الأرض.**

الشيخ التسخيري: ولكننا سعينا، يعني أردنا، في مجال التعليم، في مجال الإعلام، في مجال الاقتصاد، في مجال الحقوق، ومن جملة الخطوات التي طرحتها الثورة إحياء شخصية المرأة، قالت للمرأة أنت شخصية قائمة، يمكنك أن تساهمي في كل البناء السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، الحقوقي، الدولي. المرأة المسلمة اليوم يقيدها شرط واحد، وهذا شرط إنساني وإسلامي، وهو شرط العفة الذي أراده الإسلام، عندما تتحقق العفة تسقط كل القيود والشروط الأخرى، وتكون المرأة صنو الرجل في الحياة الخاصة والعامة، على قانون الولاية كما يقول القرآن: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾. المرأة والحمد لله دخلت الساحة، تواجدت في البرلمان بقوة، تواجدت في الجامعة بقوة، اليوم ربما أكثر من ٥٠٪ من طلاب الجامعات من الفتيات، في الإعلام المرأة حاضرة بقوة، في العمل الخيري، في المظاهرات السياسية، في صلاة الجمعة المرأة نصف الحضور في هذه الصلاة، باختصار في كل ميادين المجتمع المدني؛ حيث شكلت المرأة مئات الجمعيات.

■ **النقطة التي لفتتني أكثر سماحة الشيخ، ليس فقط عدد المناصب، أو المساحة التي تحتلها المرأة الإيرانية، بل هي شخصية المرأة الإيرانية.**

الشيخ التسخيري: أنا أشعر بأن المرأة تحولت من داخلها؛ أو فلنقل طرأ عليها تحول ذاتي، فأحست بقيمتها الإنسانية. والفضل في هذا الأمر يعود بدرجة كبيرة إلى الإمام الخميني، أول كلمة قالها للمرأة عندما زارته مجموعة من النساء قال لهن: «**أنتن قائدات هذه الثورة، ونحن تبع لكم في مسيرتها**» وفي هذا اعتراف واضح بشخصية المرأة الإيرانية. اليوم والحمد لله تشعر المرأة الإيرانية بالقيمة، ولا أراها حققت كل أهدافها، وهي مسؤولة إذا لم تحقق أهدافها، عليها أن تعيد لملمة نفسها من جديد، وتطالب بكل حقوقها، ولا أراها حصلت على هذه الحقوق، وأمامها ميدان واسع، فلتتقدم، ولتمش بقوة، وأعتقد أن هناك الكثيرين من أنصارها في هذا المجال.

■ **نعم. أنا أحببت أن أسأل عن أمر هو أن العقلية العربية الرائجة تربط إلى حد كبير بين الحكم الإسلامي والقوانين الإسلامية وبين التحجير على الفنون، ولكنني أرى الكثير من الفنون مزدهرة هنا في إيران فهل تم تجاهل الفنون وغض النظر عنها، أم أن رؤيتكم الدينية وطريقتكم في فهم الدين تسمح للفنون على أشكالها بالبقاء والازدهار، من السينما إلى الرسم والنحت والموسيقى وغيرها من الفنون المتداولة في المجتمع الإيراني؟**

الشيخ التسخيري: إنك وضعت يدك على النقطة المهمة، نحن لم نتجاوز النصوص الدينية في سماحنا لأبعاد الفن بالظهور، عشنا مع روح الدين في السماح للفن بالانطلاق. أريد أن أقول بدقة نحن نعتقد أن الفن هو عمل فطري، يعني الفنان الأول هو الله تعالى، الذي قدم لنا القرآن بهذه العظمة، وكتاب الفن الرائع هو القرآن العظيم. نحن نعتقد أن الفن هو عملية انسجام مع الفطرة، فإذا كان الإنسان الفلاح في عصور الإقطاع يهتز للمنظر الجميل، فمن الطبيعي جدا أن تتحرك مشاعر الإنسان المثقف في عصر الذرة أيضاً للفن الجميل؛ لأن الفن الجميل هو بنية وكيان متناسق ينسجم مع فطرته. هذه هي نظرتنا للفن؛ ولذلك نحن سمحنا بكل أنواع الفنون ما عدا الأساليب التي نعتقد أنها تخرِّب الفن وتمزق الفن.

■ **مثل أي شيء؟**

الشيخ التسخيري: مثل أساليب تحويل المرأة إلى آلة بيد الرجل، إلى ألعوبة بيد الرجل ليشبع بها نزواته. وهذا ضرب لإنسانية الإنسان، وضرب لإنسانية المرأة...

■ **وعدم احترام المرأة نفسها...**

الشيخ التسخيري: صحيح، أو مثلاً الأساليب الفنية التي لا تتناسب مع إنسانية الإنسان ولا حاجة إلى مزيد من التوضيح، ولكن أقول سمحنا بالفن، بالأناشيد، سمحنا بالموسيقى غير الماجنة، سمحنا بالرسم، بالمسرح، بالسينما، والسينما الإيرانية تحصد الجوائز العالمية؛ لأنها تحمل مضمونا مفقودا في الكثير من الأعمال السينمائية الأخرى. سمحنا بكل أساليب الفن الهادف المنسجم مع الفطرة الإنسانية ونعتقد أن من أسخف ما قامت حركة طالبان هو القضاء على آثار فنية من عصور قديمة لم تكن تمتلك أي مضمون عقائدي، حتى أنها قضت على رؤوس بعض التماثيل في المتاحف، هذه أساليب سخيفة لا يرضاها الإسلام.

---

* تحرير لحوار أجرته الإعلامية كوثر البشراوي مع سماحة الشيخ التسخيري على قناة الجزيرة الفضائية.